الجامعة المستنصرية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية / المرحلة الثانية

د. عباس رحيم عزيز

مادة الأدب الجاهلي

المحاضرة الخامسة والعشرون

أنواع الخطب:

الخطب الحماسية:

التي تقال لأثارة حماسة المقاتلين وتحريضهم على خوض الحرب، وإقناعهم بسلامة موقفهم فيها وقد اتسمت بسمات صارت في ما بعد تقاليد الجاهلية، إذ جرى العرف أن يخطب الخطباء واقفين، أو على صهوات خيولهم، أو على مرتفع من الأرض، ويكون الخطيب بكامل زيه الحربي، وقد غطت رأسه القلنسوة، وسيفه أو رمحه في يمينه، وكان الزعماء والقادة يتبارون بالخطب وسحر اللغة وروعة البيان وشدة اسر البلاغة وقوة المعاني قبل أن يتبارون بأسلحتهم، ومن حسنت خطبته كان النصر عليه أسهل.

أمثله هذه الخطب خطبة هانئ بن قبيصة في يوم ذي قار (يا معشر بكر، هالك معذور، خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وان الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور، أكرم منه في الإعجاز والظهور يا آل بكر قاتلوا فما المنايا من بد).

الخطب الوعظية:

يغلب عليها الطابع الأخلاقي، كالدعوة إلى التمسك بالعدل والمروءة ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف أو الدعوة إلى استصغار امر الدنيا والاستهانة بشأنها. ومن أمثلتها خطبة قس بن ساعدة الأيادي الذي ينتمي إلى قبيلة إياد بنجران، خطيب العرب وحكيمهم، وضرب به المثل في البلاغة والموعظة الحسنة يقال: (ابلغ من قس) وكان يؤمن بالتوحيد، فكانت له نظرات صائبة في الكون، استدل بها على وجود الله، وكان يدعو العرب إلى ذلك.

وهو أول من قال في خطبته أما بعد من اتكأ على السيف وهو يخطب في سوق عكاظ وقد سمعه الرسول وهو يخطب وهو يخطب في سوق عكاظ فأثنى عليه وعاش عمرا طويلا وتوفي عام 600 م (أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، وبحار تزخر ونجوم تزهر وضوء وظلام، وبر وأثام ومطعم ومشرب، وملبس ومركب، إن في السماء لخبرا وان في الأرض لعبرا، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، ارضوا بالمقام فأقاموا، أم اتركوا فناموا؟ واله قس بن ساعده ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وادرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فأتبعه وويل لمن خالفه، إنكم لتاتون من الأمر منكرا، ثم أنشا يقول:

**في القرون لنا بصائر للموت ليس لها مصادر**

**يمضي الأصاغر الأكابر حيث صار القوم صابر**

تناولت خطبة ابن ساعدة مجموعة من الأفكار التي كانت سائدة في عصره أو الوجود والعدم، وفصل ذلك بتناول الماضي والحاضر والمستقبل، فالماضي "من مات فات" الذاهبون الأولون الفانون وفي رواية أخرى للخطبة "أين عاد وثمود" وأما الحاضر فيتمثل في ظواهر الطبيعة التي حوله من ليل ونهار وجبال وانهار وارض وسماء والناس يعيشون عليها معتنقين أديانا مختلفة "إنكم لتاتون من الأمر منكرا" وأما المستقبل فهو يرهص بمجيء نبي آخر الزمان، فبشرى لمن أدركه وامن به، والويل لمن عصاه.

خطب المنافرات:

حرب بين شخصين، أو جماعتين سلاحهما الكلمات، ويحكم فيها قاض مشهود له بالعدل والخبرة وتجري المنافرة على مساحة من الأرض، يقف فيها المتنافران على مكان مرتفع ليراهما الناس ومن أشهر المنافرات وفي الجاهلية، وبين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل:

(من خبر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامرين لما أسن أبو براء عامر بن مالك بن جعفر بن ملاعب الأسنة تتنازع في الرياسة , فقال علقمة كانت لجدي الأحوص وإنما صارت لعمك بسببه وقد قعد عمك عنها وانا استرجعتها فانا أولى بها منك فشرى الشر بينهما وسارا إلى المنافرة فقال علقمة إن شئت نافرتك فقال عامر قد شئت والله اني لأكرم منك حسبا واثبت منك نسبا وأطول منك قصبا فقال علقمة والله لأنا خير منك ليلا ونهارا فقال عامر والله لأنا احب إلى نسائك إن اصبح فيهن منك أنا انحر منك للقاح وخير منك في الصباح واطعم منك في السنة الشياح فقال علقمة أنا خير منك أثرا واحد منك بصرا واعز منك نفرا واشرف منك ذكرا فقال عامر ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد وبصري ناقص وبصرك صحيح ولكني أنافرك اني اسمى منك سمة وأطول منك قمة واحسن منك لمة واجعد منك جمة واسرع منك رحمة وابعد منك همة فقال علقمة أنت رجل جسيم وانا رجل قضيف وأنت جميل وانا قبيح ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي فقال عمر آباؤك أعمامي ولم اكن لأنافرك بهم لكني أنافرك أنا خير منك عقبا واطعم منك جدبا فقال علقمة قد علمت أن لك عقبا وقد أطعمت طيبا ولكني أنافرك اني خير منك وأولى بالخيرات منك فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامهما فقالت يا عامر نافره ايكما أولى بالخيرات قال عامر اني والله لأركب منك في الحماة واقتل منك للكمأة وخير منك للمولى والمولاة فقال له علقمة والله اني لبر وانك لفاجر واني لولود وانك لعاقر واني لعف وانك لعاهر واني لوفي وانك لغادر ففيم تفاخرني يا عامر فقال عامر والله اني لأنزل منك للقفرة وانجر منك للبكرة واطعم منك للهبرة واطعن منك للثغرة فقال علقمة والله انك لكليل البصر نكد النظر وثاب على جاراتك بالسحر، فقال بنو خالد بن جعفر وكانوا يدا مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر لن تطبق عامرا، ولكن قل له أنافرك بخيرنا واقربنا إلى الخيرات، فقال له علقمة هذا القول فقال عامر: عير وتيس و تيس وعنز فذهبت مثلا نعم على مائة من الابل إلى مائة من الابل يعطاها الحكم أينا نفر عليه صاحبه اخرقها ففعلوا ذلك).

المنافرات تقوم على الفخر والهجاء معا، من خلال جدلية قوامها التناقض بين الخير والشر ومهمه كل متنافر إثبات الحقيقة ونفيها عن غريمه، لتنتهي بحصول أحد الطرفين على السبق الذي ---------، والطرفان يوافقان على الحكم الذي يقضى بها.

ولم تقتصر المنافرة على الرجال فحسب، بل تنافرت النساء أيضا وبالأسلوب الذي يتنافر به الرجال، ولكن بموضوعات مختلفة من ذلك منافرة بين اربع نساء أوردها الميداني في كتاب الأمثال جاء فيها (وأول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدي؛ وذلك أنها وثلاث نسوة من قومها خرجن فقعدن بروضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلا في قمر زاهر وليلة طلقة ساكنة وروضة معشبة خصبة، فلما جلسن قلن: ما راينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضة روضة، أطيب ريحا ولا انضر، ثم أفضن في الحديث فقلن: أي النساء افضل؟ قالت إحداهن: الخرود الودود الولود، قالت الأخرى: خيرهن ذات الغناء وطيب الثناء، وشدة الحياء، قالت الثالثة: خيرهن السموع الجموع النفوع، غير المنوع، قالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة الرافعة، لا الواضعة قلن: فأي الرجال افضل؟ قالت إحداهن: خيرهم الحظي الرضي غير الخظال (المقتر المحاسب لأهله على ما ينفقه عليهم) ولا التنبال، قالت الثانية: خيرهم السيد الكريم ذو الحسب العميم والمجد القديم، قالت الثالثة: خير هم السخي الوفي الذي يغير الحرة ولا يتخذ الضرة، قالت الرابعة: وأبيكن أن في أبي لنعتكن؛ كرم الأخلاق والصدق عند التلاق والفلج عند السباق وبحمده أهل الرفاق، قالت العجفاء عند ذلك: كل فتاة بأبيها معجبة فذهبت مثلا.

تعكس هذه المنافرة على انتشار هذا الفن في المجتمع الجاهلي، ويلاحظ على المنافرات استخدام الجمل الطويلة المسجوعة، والعبارات الواضحة المفهومة.

الخطب الرسمية:

يلقيها الخطباء على مسامع الملوك والزعماء في الأمور السياسية، ومن أمثلتها الخطبة التي ألقاها عبد المطلب بن هاشم في وفادته إلى ذي يزن لتهنئته باسترداد ملكه من ملك الحبشة والتي قال فيها (إن الله تعالى أيها الملك احلك محلا رفيعا، صعبا، منيعا، باذخا، شامخا، وأنبتك منبتا طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت اصله، وبسق فرعه؛ في اكرم معدن، وأطيب موطن؛ فانت أبيت اللعن رأس العرب، وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي اليه يلجا العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته، وسدنة بيته، أشخصنا اليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة ولا وفد المرزئة).

حرص عبد المطلب في خطبته على التذكير بفضل الملك على رعيته، وفضل الله عليه باسترداد ملكه، جاءت الخطبة في جمل قصيرة مسجوعة، ذات دلالات عميقة، تناسب مقام الملك.